

عرضة للاحتجار ؛ اذا استولت عليهم الهوم والاكدار ؛ وأن قائده في الآخرة أعظم ؛ وان استجابته اذا وجد على حقيقته التي شرحناها كثيرة يعرفها المؤمنون الصادقون ؛ وينكرها الملحدون والشاكرون ؛ وان هذه الاستجابة ليست من الخوارق الحقيقية ؛ ولكنها من التوفيق الإلهي والنهاية الربانية ؛ واذا كان أمر العناية فيها غريبا في صورته غير مهود يصح ان تسمى كرامة . وقد بسطنا هذه المسألة فلم نفهم البحث فيها على موضوعنا لما نعلم من اشتباه الأمر فيها على الذين يحبون ان يمثلوا الدين ويفتخروه ، ومن جهالة المقلدين الذين يسلامون بكل ما ينقل عن الميتين وان لم يفهموه ، و نرجو أن يقبل كلامنا لهذا كل مؤمن بان لا يكون فاعلا مختارا ؛ وان للناس حياة بعد هذه الحياة ؛ كما نرجو ان يراجعنا من يتوقف في صحة شيء مما كتبناه أو في فقهه وفهمه والله الموفق للصواب

### شبهات النصارى وحجج المسلمين

( النذة الخامسة في رد شبهاتهم على القرآن العزيز )

(الشاهد الحادي عشر) قال المعارض ، الذي كتب مالا يتقدم : وعد في جملة هذه المناقضات مئة وخمسة وعشرين آية متفرقة في ثلاث وستين سورة منه تأمر بالصفح والتولي والاعراض والكف عن لم يكن مسلما وقد نقضها كلها آية السيف وهي قوله في سورة التوبة « فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ ذَاتُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَدُّوهُمْ وَأَحْضَرُوهُمْ وَأَقْبَدُوا أَيْمَهُمْ كُلًّا مَرْصِدًا » ( قال ) وهذا في زعمهم كلام الله يأمرهم في مئة وخمسة وعشرين موضعا من كتابهم بالصفح عن خلفهم في الدين ثم يبطل ذلك كله اعتباطا : ثم هذي بمد ذلك بما بعد شتما لا اشتباها فعرض عن ذلك عملا باحدى تلك الآيات التي أشار اليها ونخص الكلام بدفع الشبهة فنقول

نعوذ بالله من الغلو في التعصب الذي يعمي ويصم ويوقع المرء في مثل الفضيحة التي وقع فيها هذا الكاتب المعارض فقد جمع آيات الفضائل العالية والآداب السامية وجسد المسلمين عليها ولم يجد سبيلا الى الاعتراض عليها الا بزعمه انها منقوضة بآية سيف والتناقض انما يكون في القضايا الخبرية ، لافي الاوامر والنواهي التهديبية ،

ونحوها من الجمل الانشائية ، واذا قيل : انه لا يعني بالتناقض ما هو مقرر في علم المنطق وانما يعني به ان آية السيف التي ذكرها تنافي تلك الآداب والنضائل نقول : ان هذا زعم باطل وكان قائله شعر بضعفه وتداعيه فدعمه بأكذوبة افتراها من عنده اذ زعم ان الامر بقتال المشركين كان « اعتبارا » أي ظلما لا قصاصا ولا مضافة عن حق . وأصل الاعتباط ذبح الهيمة من غير علة وقالوا : اعتبط فلانا : أي قتله ظلما لا قصاصا . يزعم هذا المتعصب ان المسلمين هم الذين اعتدوا على المشركين وحاربوهم ابتداء وتناسى ان المشركين هم الذين كانوا يرمون النبي صلى عليه الصلاة والسلام بالحجارة ويلتقون عليه فرث الكرش وهو يصلي وأخرجوه هو ومن آمن معه من ديارهم وأموالهم وأهلهم وكانوا يوقعون بكل من ظفروا به منهم ، ثم لما كانت بينه وبينهم معاهدة الحديبية طامعهم بكل ما ناصر به تلك الآيات من الحلم والتساهل وهو قوي لا ضعيف حتى رضي بأن يرجع اليهم من يجيئه منهم مسلما وان لا يرجعوا من يجيئهم من عنده وبعد ذلك كما كانوا هم القادرين التاركين للعهد وتناسى أيضا الآية التي قبل الآية التي أورددها وزعم انها عدت جميع النضائل « اعتبارا » وهي قوله عز وجل « إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا لِيَابَهُمْ هَدْتَهُمْ إِلَىٰ هُدْيِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ » وقوله تعالى بعد آيات « وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا إِنَّهُمُ الْكُفْرَانُ لَهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ أَعَاهَدْتُمْ لَهُمْ يَنْتَهُمُونَ \* أَلَا تَقَاتِلُونَ تَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّوْكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ » فلمترض قد قرأ كل هذه الآيات التي تحيذ بالآية التي ذكرها من أمامها وورائها وعلم ان المشركين هم الذين نكثوا العهد وهم الذين بدأوا المسلمين بالمدوان وهو مع هذا كله يكتب بلا حياء ولا خجل زاعما ان المسامحة قاتلوهم « اعتبارا »

ثم انه تناسى الآيات الأخرى التي تنهى عن الاعتداء في القتال كقوله تعالى « وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » وقوله جل وعز وهو أول ما نزل في الاذن بالجهاد دفاعا عن الحق والانفس التي تظلم

وتهان لانها تمسكت به وتركت عبادة الاصنام والاولئان وذلك قوله «أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ» الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِنِيرٍ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ» الآيات وفيها من بيان حكمة هذا الاذن بمدافعة أولئك المتدين من عباد الاصنام أنه لولا هذه المدافعة لهدمت مما بد أهل الكتاب كلهم وأنه يشترط على المؤمنين المأذون لهم بالمدافعة - اذا مكهم في الارض - أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة مواساة للنقراء ونحوهم من المستحقين ويقيموا المنكرات الضارة ويأمروا بالمعروف . فهل تمد هذه المدافعة لهدم الحجارة الباغين المتدين هدماً للفضائل وظلماً للعباد ويمتنع أن تكون بوحى من الله تعالى؟ وهل كانت المسوغات لموسى ويوشع وسائر أنبياء بني اسرائيل (عليهم السلام) حين حاربوا الامم المشركة أظهر من هذه المسوغات؟ وهل اشترط عليهم كما اشترط الاسلام ان لا يبدأوا بالمدوان ولا يفتضوا المشرك عهداً وأن يصلحوا في الارض بمشاركة الناس في أموالهم وازالة المنكرات من الارض؟

جاء في الفصل العشرين من سفر تثية الاشتراع (التوراة) مانصه : ١٥٥  
حين تقرب من مدينة لتحاربها استدعها الى الصلح ١١ فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشئ الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستبد لك ١٢ وان لم تسلمك بل عمات معك حرباً فحاصرها ١٣ واذا دفعها الرب إليك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ١٤ وأما النساء والاطفال والبهايم وكل ما في المدينة كل غنمها فتقتتها لنفسك وتأكل غنمة أعدائك التي أعطاك الرب إليك ١٥ هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ١٦ وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إليك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما !! أليس من العار والفضيحة على من يعتقد أن هذا وحى من الله تعالى ان ينكر تلك الآيات الكريمة الرحيمة التي أذنت بمدافعة المتدين بقدر الضرورة؟ أليس من رحمة الله تعالى بعباده أن تدخ هذه الاحكام القاسية الآمرة باهلاك الامم التي لها حق الجوارح حتى لا يبقى منها امرأة ولا طفل بشريعة تحرم قتل النساء والاطفال ورجال الدين وكل من لا يبتدي ولا يقاتل؟ بلى ولكن تصب هؤلاء الناس ووقاحتهم من المدهشات

علم مما ذكرناه ان الآية التي ذكرها وسماها آية السيف وزعم انها تقضت جميع الفضايل التي بنتها الآيات الكثيرة اذ أمرت بقتل المشركين «اعتباطه تقدمها آيات وتلوها آيات تبطل مازعم . وما هي الا إذن بقتال المشركين الذين نكثوا العهد كما في الآيات التي قبلها وبعدها . وذلك ان المسلمين عاهدوا مشركي العرب من أهل مكة وغيرهم عهدا فكثروا الاثني ضرة وبني كنانة فأمر الله تعالى بأن ينبذ لنا كنين عهدهم ويمهلوا أربعة أشهر الى آخر المحرم من الأشهر الحرم فان تابوا والا فقتلوا : قال البيضاوي في تفسير الآية مانصه مع اختصار قليل يتعلق بالالفاظ : «فاذا أنسخ» انقضى «الأشهر الحرم» التي أيسح لنا كنين ان يسبحوا فيها «فاقتلوا المشركين» النا كنين «حيث وجدوهم» من حل وحرم «وخذوهم» وأسروهم والخذ الأسر «وأحصروهم» واحبسوهم أو حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام «واقعدواهم كل مرصد» كل ممر لئلا يتسلطوا في البلاد : اه فأين الأمر بقتل جميع المشركين ظلما وعدوانا كما زعم المعترض

وروى أصحاب الصحاح وأهل السير والتاريخ ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاهد قريشا عام الحديبية عهدا كاد يخالفه لاجله السامون ما رأوا من الفضاضة عليهم في تسامحه مع المشركين وكان أهم ما في العهد ان يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهده وبنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فقاتل منها واعانهم قريش بالسلاح حتى تظاهروا عليهم وفي ذلك يقول عمرو الخزاعي فيما أنشده يخاطب به النبي صلى الله عليه وآله وسلم :  
ان قريشا أخذوك الموعدا \* ونقضوا ميثاقك المؤكدا \* وجعلوا لي من كداء رسدا  
وزعموا ان لست أدعو أحدا \* وهم أذل وأقل عددا \* هم يتوننا بالاطم هبدا  
وقتلونا ركماء وسجنا

وقد كان هذا الفدر سببا في فتوح مكة وأذنهم قبل ذلك بان لا يطوف بالبيت عريان وان يتم لكل ذي عهد عهده وأرسل أبا بكر ثم عليا الى مكة فقرأ عليهم نحو أربعين آية من «مدرسة» (براة) وفيها الآيات التي تقدم ذكرها . ثم كيف كانت معاملته للمشركين عند ما فتح مدينتهم العظمى ؟ هل آبادهم كما أمرت التوراة التي يستند بها

المترض النصراني فلم يبق منهم نسمة أم عامهم بما أرشدته اليه الآيات الـ ١٢٥ الأصرة بالصنح وحسن المعاملة ؟ كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أعطى رأيه بمد ابن عبادة فبان انه قل قبل ان يصلوا الى مكة : اليوم يوم الماحمة اليوم تستحل الحرمة اليوم أذل الله قريشا : فامر بنزع الراية منه وأعطائها لابنه وقال عليه الصلاة والسلام : « اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله قريشا » ودخل مكة لم يسفك دما وإنما كانت ساعة قتال بين خالد بن الوليد وبين الذعر من قريش الذين حاولوا صده فقتل من جيشه أسنان ومن المشركين أربعة وعشرون . ثم دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الكعبة فاجتمع الناس فقال « يا معشر قريش ما تظنون اني فاعل بكم » قالوا أخ كريم وابن أخ كريم فقال « اذهبوا فاتم اللقاء » أفيرى المترض ان هذه المعاملة مناقضة للرفق والصبر والصفح عن المخالفين في الدين ؟ ان كان يرى ذلك فليصور لنا معاملة أفضل منها وأرحم

ثم اننا نعود الى آيات الصنح والصبر وحسن المعاملة والرفق والحلم فتقول إنها وردت في ضروب من السياق مختلفة منها تسلية النبي صلوات الله عليه عند ما كان يضيق صدره لا يعرض الناس عن الحق وعدم ادقائهم اليه . ومنها تقييح جهاهم وبيان ان الكمال في الاعراض عنه لافي متابته بمثله . ومنها بيان ان الانبياء عاجزون عن هداية الناس بالفعل وان القادر على ذلك هو الله تعالى الذي وضع السنن على أساس الحكمة والنظام ومنها بيان ان وظيفة الانبياء البيان وحسن التبليغ وان الايمان لا يكون بالاكراه وانما يكون بالاقناع وهذا قريب مما قبله ولكنه غيره . كقوله تعالى « فاصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » وقوله « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین » وقوله فاصنع عنهم وتل سلام فسوف يعلمون » وقوله « فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وقوله « وما أنت عليهم بجبار » وقد كانت هذه الآيات تقررن بآيات أخرى تشعر بأن الله ينصر رسوله ويجعل العزة والغلبة لحزبه كقوله تعالى في سورة الصافات وهي مكة « ولقد سبقت كلتنا لعبادنا المرسلين \* انهم لهم المنصورون \* وان جنودنا لهم الغالبون \* تقول عنهم حتى حين \* وأبصرهم فسوف يبصرون \* » وانك لتجد من التهديد والوعيد في السور المكية التي نزلت في

زمن الضعف ما لا تجد مثله في السور المدنية التي زلت في زمن القوة والمعرض يومهم خلاف ذلك وما أراء الاعتماد للإيهام إذ لم يباغ به الجهل أن يعتقد بمائة قول ولكن باغ به التعصب أن يقول ما لا يعتقد

أما زعمه أن المسادين لما رأوا التناقض في هذه الآيات زعموا أنها منسوخة فباطل فإن أحكامها ثابتة وكان العمل عليها لم ينقطع بالقتال الذي كان لضرورة وبمقدار الضرورة مع الرحمة والعدل ورعاية حقوق الإنسان بقدر الامكان . وقد علم مما أشرنا اليه من الشواهد ان الآيات الآمرة بالصفح والتولي عن المشركين للجهلهم على العموم لم يترك العمل بها وأماما كان متمسقا بالدفاع والمقاومة فقد كان موقفا كقول تعالى « قتل عنهم حتى حين » وقوله « فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره » نعم ان من المؤلفين من زعم أن هذه الآيات منسوخة بآية السيف وقد رد العلماء المحققون هذا القول وأنكروه كما يعلم من كتاب (الاتقان) ومن كتب التفسير

والذي يحمل المؤلفين على أمثال هذه الجهالة هو حب الأعراب ومل الصحائف فان الرجل يخطر في باله ان يؤلف كتابا في موضوع ضيق لا تتسع مسائله لان تكون كتابا يدخل فيها ما ليس منها لادنى شبهة . وقد حقق الامام الشوكاني ان الآيات المنسوخة سبع لا تزيد وكان الحافظ السيوطي عددها عشرين . وعن العلماء المحققين من ينكر النسخ في القرآن دون السنة ويفسر الآيات التي قالوا بنسخها تفسيراً يبين به أحكامها . والنسخ في كتب اليهود والنصارى التي يسمون مجموعها (الكتاب المقدس) كثير جدا وقد عقد له الشيخ رحمه الله في كتاب (اظهار الحق) بابا أورد فيه الشواهد الكثيرة من تلك الكتب .

وربما يستغرب القارى إحصاء هذا المعرض النصراني لهذه الآيات ويؤمن انه قرأ القرآن واستخرج منه ما تقدم . والامر ليس كما يظن وإنما استخرج هو وأمثاله جميع مطاعهم من كتب المسلمين كالاتقان والناسخ والمنسوخ فانك ترى في الاتقان فضلا في مشكل القرآن وموهوم التناقض فيه فالجزم بأخذ ما يوهوم التناقض من من هذه الكتب فيسببه متناقضا ليسر به قومه ويشكك المسلمين ويشفي غليل تعصبهم

